Issue 6291 Thursday 7/3/2019
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6291 الخميس 29 من جمادى الاخرة 1440 هـ 7 من اذار (مارس) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

ديمقراطية (بوبجي)

إنتصار العولمة وهزيمة مجتمع

ياسر الوزني
بغداد

حقاً ما الذي حل ببغداد إذن ...؟ في يوم مضى كان الناس يلتقون عند حكايات المواقد وآماسي المسرات..

أما اليوم فإن بعضهم يدعو الآخر الى سهرة بكاء ينتحبون فيها الفجيعة التي حلت بهم وتلك التي يخافون قدومها إليهم.

من الذي فعل هذا ببغداد فأطلق فيها البكاء والشجن ليخنق الأغاني وإيقاعات الخلاخل وقهقات الصغار ...؟

تلك الكلمات كانت نهاية المقدمة التي سطرها الأستاذ سعد البزاز بتاريخ 15/ 4/ 1996على صفحات كتابه د.علي الوردي في الطبيعة البشرية ، مادة دسمة من الدراية والخبرة والعقل الجريئ في محاورة إتسمت بالفكر البلاغي والنقدي أسماها (محاولة في فهم ماجرى) ,في الكتاب عناوين أهمها .. العراق أولاً ،،الظلم الأجتماعي في مجتمعنا ،،القيم العشائرية ،،مأزق المرأة العراقية ،،الدوافع القهرية،القيم البغدادية ..وفيه أيضاً محطات أخرى . ربما يستغرب القارئ الكريم علاقة العنوان بالمقدمة!!وعندي جوابان خيرهما ماقاله سيدنا الأمام علي(ع) في الأهتمام بالصحة والبدن (ان للأبدان حالات ست ..الصحة والمرض والنوم واليقظة والموت والحياة ، وكذلك الأرواح فان صحتها اليقين ومرضها التردد ونومها الغفلة ويقظتها التوجه وموتها الجهل وحياتها العلم) والثاني درهم وقاية خير من قنطار علاج ،وتجنب الفجيعة(تلك الكلمة المؤثرة التي أستعرتها من مقدمة الكتاب) فلا تدمع عين ولايحزن قلب ،أعتذرمنكم لكني أعتقد أن المقدمة جاءت على مقاس منظبط مع غاية المقال .

الأمن الأجتماعي والأمن الأنساني ..الأمن الاجتماعي حسب النظرة القرآنية بأنه (اطمئنان يجده الفرد وما يمنع خوفه في حاضره، ويمنع قلقه على مستقبله، ويحرص على تبادله مع الآخرين عبادة لله، بممارسة ذاتية منه يحقق بها مشاركة إيجابية مجتمعية وحضوراً فاعلا، وبممارسات وواجبات منوطة بالحاكم يكلف بها مؤسسات عاملة في المجتمع، وبرقابة ومتابعة من النظام السياسي لتحقيق غاية خلق الله للإنسان ومقاصد الشريعة .. ،في حين يركز مفهوم الأمن الانساني على الانسان الفرد وليس على الدولة أي تحقيق أمن الفرد بجانب أمن الدولة إذْ قد تكون الدولة آمنة في حين يفتقر بعض من مواطنيها إلى الأمن لظروف عدة.

أبَعاد الأمن الاجتماعي : البعد السياسي /معناه الحفاظ على الكيان السياسي للدولة وحماية المصالح العليا ..البعد الاقتصادي /توفير أسباب العيش الكريم وتلبية الاحتياجات الاساسية ورفع مستوى الخدمات مع العمل على تحسين ظروف المعيشة وخلق فرص عمل ..البعد الاجتماعي / توفير الأمن للمواطنين بالقدر الذي يزيد من تنمية الشعور بالانتماء والولاء ، والعمل على زيادة قدرة مؤسسات التوجيه الوطني لبث الروح المعنوية .. البعد المعنوي أو الاعتقادي /احترام المعتقد الديني بصفته العنصر الأساسي في وحدة الأمة التي تدين بالاسلام وتتوحد مشاعرها باتجاهه ، مع مراعاة حرية الأقليات في اعتقادها..البعد البيئي / حماية البيئة من الاخطار التي تهددها كالتلوث وخاصة في التجمعات السكنية القريبة من المصانع التي تنبعث منها الغازات التي تسهم في تلوث الهواء ، والاضرار بعناصر البيئة الاخرى من نبات ومياه .

عوامل تهديد الأمن الاجتماعي ..الانحراف/ هو الابتعاد عن المسار المحدد وانتهاك القواعد والمعايير ومجانبة الفطرة السليمة واتباع الطريق الخطأ المنهي عنه حكما وشرعاً... الغلو/ ويعني التجاوز المجانب لحد الاعتدال . .المخدرات /وهو من أخطر الآفات التي تهدد المجتمع وتعبث بكيانه واستقراره لما تتركه من آثار سلبية على صحة الابدان والعقول .. الفقر/ من أبرز المشكلات الاجتماعية والاقتصادية حيث يؤدي الحرمان والعوز إلى بروز حالات الجنوح التي تدفع أصحابها إلى السرقة والانتقام.

جديد العنف(عولمة الألعاب)

PUBG) Player Unknown's Battlegrounds) صدرت عام 2017وتعرف بلعبة ساحات معارك اللاعبين المجهولين ، يقال أن عددلاعبيها تجاوزوا أكثر من 400مليون حول العالم، سرقت عقول الشباب وتركيزهم واستولت على حياتهم الشخصية وبعضاً من أموالهم. علماء النفس يقولون أنها عملية اختطاف من نوع آخر، التجربة الأولى تكون بإرادتك لتتحوّل في ما بعد إلى شيء من الإدمان. تعلّمك فن القتل والاستمتاع فيه، "تثقفك" حول أنواع الأسلحة ?والرصاص وتجبرك على الهرب من عالمٍ واقعيّ خطر إلى آخر افتراضيٍ أخطر، تجعل الإنسان يهرب من واقعه ليعيش في عالم آخر بعيداً من الحقيقة. فلا يدرك ?دائماً الفرق بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي ،توهم الآخرين بأن أساليب العنف هي الطريقة الوحيدة للدفاع عن النفس، "وكأن العنف هو الوسيلة ?للوصول الى الهدف المنشود وإلغاء الآخر أمر طبيعي".

تجعل الفرد يلجأ إلى العنف لحل نزاعاته، كأن الاذية أصبحت أمراً عادياً، وتصبح بذلك ردات فعله عصبية كما يصبح منعزلاً اجتماعيًا ويتفاعل مع اللعبة ويعيش في عالم خيالي هذه الخطورة وغيرها من المشاكل الأسرية والصحية والدراسية والعائلية دعت أجهزة الأمن في بعض الدول ومنها الأردن الى منع كوادرها تحميل واستخدام هذه اللعبة لما تحتويه من تشجيع على عمليات القتل والتدمير وتشكيل العصابات، بل أنها حذرتهم من عقوبات على المخالفين .

عولمة الأنسان والأخلاق

تتكفل آليات العولمة بفرض أخلاقياتها أوالأخلاقيات التي يجرى تفصيلها في المركز(الغرب) ليتم ترويجها في الهامش (شعوب العالم الثالث) بما يخدم الهدف الأساس (الاقتصادي التجاري السياسي والثقافي) . أن كثيراً من النخب المثقفة أصبحت تدرك هذا التهديد الأخلاقي السلبي الذي لم يسلم منه العلماء أنفسهم بعد أن أصبحت المعرفة متملكة وخصوصية ولصالح النشاط المادي بل لم تسلم حتى المناهج العلمية من مؤسسات الأعمال الممولة ، إن الحديث اليوم ينصب عن نوع الإنسان الذي يريدون إنتاجه وتحويل الطبيعة البشرية إلى كائنات أخطر ما تكون وأكثر ما تكون خروجا عن سمات هذا الكائن وهو الإنسان ذو الطابع الأخلاقي الفطري وذو الكرامة التي منحه الله سبحانه وتعالى إياها،إن قيم السرعة والقوة والربح والمنفعة في كل شؤون الحياة هي في تضاد مع قيم التضحية والمساعدة والتعاطف ، قادة العولمة لم يقفوا عند هذا الحد بل تعدى إلى حماية شبكات الفساد والمافيات الدولية التي تتجاوز سلطتها سلطة الحكومات نفسها في أكثر من مكان في العالم، فضلاً عن تمكين وتعزيز النفاق السياسي الذي تمثله حماية الديكتاتوريات عندما لا تتعارض مع أهدافها أو من خلال تدمير البيئة والثروات الطبيعية من أجل مصالحهم أو مصالح الشركات الكبرى في العالم.

مسؤولية الدولة والمجتمع في حماية المواطن ..

ليس للعولمة حدود ،هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو بدون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد..فهل يمكن لنا تجنب تأثيرها ...؟

1.يمتلك المجتمع القدرة على تفعيل أدوات الضبط الاجتماعي ومعالجة الاختلالات الناشئة ووضع الحلول الناجحة لها .

2.تتولى الدولة بما تملك من أجهزة وقدرات في التصدي لكل الأخطار وتحسين الاوضاع المعيشية والاخذ بيد الفئات الأقل خطاً لتنال نصيبها من الرعاية ،كما تقوم المؤسسات التربوية بإعداد النشء اجتماعياً ونفسياً ومعرفياً .

3.لابد أن يكون للجهازالقضائي والأمني دوراً في التصدي للآفات التي تهدد المجتمع .

4.دور المسجد في تهذيب الاخلاق والحث على المكارم ، والتحذير من الفتن فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصوم جُنة ، والذكر غذاء الروح ، ومبعث الطمأنينة .

5.تشكل النوادي والجمعيات الخيرية داعماً رئيساً في مكافحة الآفات الاجتماعية عن طريق توجيه طاقات الشباب إلى العمل النافع والابتعاد عن رفاق السوء من خلال الأنخراط في النشاطات الهادفة والاعمال التطوعية .

6.دور أجهزة الاعلام المطبوع منها ، والمسموع والمرئي والتي تساهم بشكل فاعل في خلق الرأي العام ، والتوجيه بما لديها من حضور ، وقدرة على الانتشار وبما تملك من سلطة معرفية ومعنوية .

7.تبقى الاسرة الحاضن الأول وحجر الأساس في البناء التربوي ، فالتربية الصالحة المسؤولة تقدم للجميع أفراداً أسوياء قادرين على المشاركة في بنائه بكفاءة واقتدار .

8.وتكمّل المدرسة والجامعة ما بدأت به الأسرة من الاعداد والصقل وغرس القيم والفضائل وتزويد الاجيال بالمعرفة والخبرة ليكونوا أعضاء صالحين في مجتمع تسوده العدالة والمساواة تحت مظلة الأمن والأمان .

> الفرد يلجأ إلى العنف لحل نزاعاته، كأن الاذية أصبحت أمراً عادياً، وتصبح بذلك ردات فعله عصبية كما يصبح منعزلاً اجتماعيًا ويتفاعل مع اللعبة ويعيش في عالم خيالي هذه الخطورة وغيرها من المشاكل الأسرية والصحية والدراسية والعائلية دعى أجهزة الأمن في بعض الدول ومنها الأردن الى منع كوادرها تحميل واستخدام هذه اللعبة لما تحتويه من تشجيع على عمليات القتل والتدمير

تهريب النفط الخام ومنتجاته أحد أوجه الفساد

عادل عبد الزهرة شبيب
بغداد

يمتلك العراق ثروة نفطية كبيرة تنتشر في مختلف مناطق العراق ,وتتركز غزارة الانتاج النفطي في جنوب العراق وبشكل خاص في محافظة البصرة التي تضم الجزء الأكبر من الاحتياطي النفطي العراقي المكتشف حتى الان والذي يقدر بـ 65 مليار برميل وبنسبة تقترب من 60 في المئة من الاحتياطي النفطي العراقي ,وهي اكبر مما تمتلكه البحرين ومقارب لما تمتلكه دولة الامارات . الا ان اوضاع دول الخليج العربي افضل بكثير من اوضاع البصرة والعراق عموما ,حيث تنتشر في العراق مظاهر الفقر والبطالة المرتفعة جدا الى جانب سوء الخدمات البلدية والصحية والتعليمية وغيرها. وعلى الرغم من ان العراق يعتمد كليا في وارداته على تصدير النفط الخام ولا يفكر في تصنيعه وتحويله الى منتجات نفطية مفضلا استيرادها ,الا ان الصناعة النفطية فيه عانت من العديد من المشاكل بسبب الحروب والعقوبات الدولية وسوء الادارة والفساد المتفشي , اضافة الى اعتماد نظام المحاصصة المقيت .يعتبر تهريب النفط الخام ومشتقاته احد اوجه الفساد الكبير في العراق حيث اصبح تهريب النفط العراقي ظاهرة ملفتة للنظر اشارت اليها تقارير دولية عديدة. فمن يقوم بهذه السرقة ؟ ومن يحميهم ؟ واين تذهب العوائد المالية الناجمة من هذه السرقة ؟ وما هي اشكال تهريب النفط العراقي ؟و ما هي طرق تهريب النفط ؟ وما هو موقف الحكومات المتعاقبة منذ 2003 والى اليوم تجاه هذه المشكلة الخطيرة ؟عموما ينهب النفط العراقي من المناطق الجنوبية والوسطى والشمالية على حد سواء ,وتشير التقارير الى ان النفط في البصرة ينهب من قبل ميليشيات مسلحة متداخلة من حيث النفوذ مع المفاصل الرسمية للمحافظة على مستوى السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ترتبط مع احزاب السلطة بشكل مباشر او غير مباشر وقيامهم بالتنسيق مع مسؤولي المحافظة الذين يمثلون تلك الاحزاب المتنفذة وفقا لنظام المحاصصة سيء الصيت الذي يتحكم بالمشهد السياسي العراقي ,حيث ينتمي المسؤولون في المحافظة الى احزاب مختلفة وهو ما يوسع نزاعا خفيا للسيطرة والنفوذ. وكثيرا ما تشهد مدينة البصرة التي تعد الشريان الاقتصادي للعراق وتضم الموانئ البحرية الوحيدة للبلاد تصعيدا خطيرا في المواجهات بين العصابات المسلحة نتيجة خلافات على تجارة المخدرات وتجارة النفط المستخرج من آبار البصرة . واشتد النزاع المسلح بين هذه العصابات ليصل الى درجة الاغتيالات لبعض القيادات في ظل وقوف الأجهزة الأمنية في المحافظة موقف المتفرج دون اتخاذ أي اجراء يحد من تطورها الذي وصل حافة الانفلات الأمني.

كشفت صحيفة خليجية عن تورط جهات واحزاب عراقية بعمليات تهريب النفط من العراق الى الامارات ,وقالت الصحيفة في تقرير لها ان نحو 40 جهة عراقية ونحو 10 احزاب سياسية تتغذى ماديا على النفط المهرب من جنوب العراق ,كما ان هناك احزابا كردية تمول نفسها ايضا من النفط العراقي المنهوب في الشمال . وان النفط العراقي المهرب يذهب معظمه الى الشارقة ورأس الخيمة والفجيرة لتشغيل محطات كهرباء او لخلطة مع النفط الايراني الخام الذي يتميز بارتفاع نسبة الكبريت فيه المضر بالبيئة بهدف تخفيف هذه النسب . اما الاموال التي تحصل عليها شبكات تهريب النفط العراقي فيتم ايداعها في بنوك اماراتية .في البصرة تسيطر الاحزاب المتنفذة على موانئ تصدير النفط ,فالبعض منها يسيطر على ميناء ابو فلوس الذي يعتبر المركز الرئيس لتصدير النفط الخام ,والبعض الآخر من الاحزاب يسيطر على ميناء ابو الخصيب العميق الذي ترسو فيه السفن الكبيرة. كما امتدت سرقات وتهريب النفط الى نفط الشمال ايضا ففي كركوك مثلا تقوم العشائر من القرى المجاورة بعمليات تخريب لأنابيب النفط بإحداث ثقوب فيها ويتم سرقة الاف الاطنان يوميا منها . وتشير التقارير الى انه في اواخر عام 2007 كان هناك ما يقرب من 25 ثقب في خط انابيب الشمال الى تركيا وتشير ايضا الى ان بعض قوات الأمن المكلفة بحماية هذه الخطوط متواطئة في هذه الأنشطة او كانوا هم انفسهم الجناة.

أشكال تهريب النفط العراقي

تأخذ سرقة النفط العراقي اليوم أشكالا مختلفة مثل:

– خلط النفط المسروق مع النفط غير المسروق وتصدير شحنة النفط الخام العادية مع النفط الاضافي الذي يتم تحصيل ثمنه بشكل منفصل .

– التهريب عن طريق ملء قوارب او شاحنات بنفط مسروق يتم تسليمه بعد ذلك الى صهاريج في الخليج العربي . وفي عام 2006 كشفت وزارة النفط عن وجود 166 قاربا بدائيا في انهار البصرة تنتظر الابحار للقاء قوارب اكبر في الخليج العربي .

-اما الشكل الآخر للتهريب فيتمثل بملء الشاحنات الناقلة بالنفط المسروق وقيادتها الى الدول المجاورة مثل ايران وسوريا وتركيا .

– ومن الأشكال الشائعة لتهريب النفط العراقي هو القيام بثقب خط الأنابيب ثم يتم سحب النفط الخام منه الى شاحنات او سفن . ووجد تحقيق اجرته وزارة النفط عام 2009 ان بعض وحدات الجيش تشارك في سرقة النفط من خط انابيب النفط.

كما اصبحت سرقة المنتجات النفطية ايضا من الأعمال التجارية الكبيرة بعد الاحتلال الأمريكي للعراق اضافة الى سرقة الغاز وبيعه في البلدان المجاورة حيث يكون السعر اعلى بكثير مما في العراق . وحسب افادة المفتش العام لوزارة النفط فانه من ايلول 2004 الى شباط 2005 تم تسجيل 1551 شاحنة تحمل 56 مليون لتر من المنتجات النفطية المستوردة وبسعر 28 مليون دولار لم تصل ابدا الى العراق وتم تغريم شركات النقل مبلغ 4 ملايين دولار نتيجة لذلك في حين انها قد استفادت من 24 مليون دولار في هذه العملية ولذلك واصلت انشطتها غير القانونية . وكان يتعين على العراق ايضا شراء منتجات مكررة من ايران وتركيا والكويت لأنه لا يستطيع تلبية الطلب المحلي وكان الفساد يطال هذه العملية ايضا .

تشير التقارير الى أن قيمة تهريب النفط العراقي الخام ومشتقاته خلال السنوات الخمس الماضية قد بلغت 90 مليار دولار وهي تعادل ميزانية بعض الدول ,وان هناك فسادا في وزارة النفط التي لم تضع مقاييس لاستخراج النفط من الآبار بشكل مباشر وانما المقاييس موجودة فقط عند تحميل النفط لذلك هناك ضرر كبير يحدث نتيجة السرقة والتهريب من الابار النفطية مباشرة . كذلك يجري تهريب النفط في بغداد ما بين الدورة والرصافة ,والحكومة العراقية غير قادرة على فرض سيطرتها على الفساد في الوزارات المختلفة ويعود السبب في ذلك الى نظام المحاصصة حيث توزع الوزارات بين الاحزاب السياسية المتنفذة ,وكل احزب سياسي يعتبر نفسه صاحب هذه الوزارة وملكا له وانه صاحب كل الصفقات التي تبرم داخل هذه الوزارة . كذلك لم تتمكن الحكومة الاتحادية من السيطرة على الفساد في اقليم كردستان حيث انها في بغداد فقدت سيطرتها على الفساد فكيف الحال في اقليم كردستان والبصرة والمحافظات الاخرى ؟ واكتفت الحكومة بإطلاق الوعود لمحاربة الفساد ولكنها عاجزة عن التنفيذ وتقديم كبار الفاسدين الى المحاكمة وهذا ما الهب الجماهير الشعبية وادى الى انتفاضتها مطالبة بمكافحة الفساد الكبير ولكن الحكومة العاجزة لم تكن عاجزة تجاه الجماهير الشعبية المنتفضة حيث واجهتها بالرصاص الحي والغاز المسيل للدموع والهراوات والاعتقالات والتعذيب وتكميم الأفواه والاغتيالات.

صهاريج محورة

-كما يتم تهريب النفط العراقي عبر الصهاريج المحورة ,وقد منع قانون مكافحة تهريب النفط ومشتقاته رقم 41لسنة 2008 المادة 1أولا ,تحوير خزانات الوقود في جميع المركبات لأغراض التهريب ما يجعلها تستوعب اكثر من طاقتها التصميمية وتتم مصادرة ناقلات النفط المضبوطة وتغريم اصحابها خمسة اضعاف المنتج المهرب اضافة الى العقوبات المنصوص عليها في القانون .

ان تهريب النفط العراقي يتم عبر :-

-الموانئ الجنوبية في البصرة باتجاه الكويت وايران والخليج العربي .

-المنافذ الشمالية الى تركيا .

-المنافذ الغربية الى الأردن وسوريا .

ذكر تقرير صادر عن مكتب المحاسبة الأمريكي التابع للكونكرس الأمريكي ان التهريب والسرقة للنفط العراقي يحرم البلاد من نحو 15 مليون دولار يوميا من عائدات النفط وان ما يصل الى ثلاثمائة ألف برميل نفط تختفي يوميا من العراق . كما اشار خبراء عراقيون الى ان النفط العراقي المهرب اكبر من المعلن عنه اذ تتراوح بين ثلاثمائة ألف برميل ونصف مليون برميل يوميا . وبهذا الصدد فقد اكد المفتش الخاص بعمليات اعادة الاعمار في العراق ستيوارت بوين في نهاية عام 2006أن عمليات تهريب النفط متورط فيها مسؤولون عراقيون وانها تجارة توفر دعما للميليشيات المسلحة بنحو مائة مليون دولار سنويا . التهريب يعتبر من الجرائم الاقتصادية التي تتسبب في تخريب أمن واقتصاد البلاد ولابد من منع عمليات التهريب ونهب النفط ومشتقاته ومجابهة هذه الجريمة بفرض العقوبات الصارمة وحماية ثروة الشعب النفطية ووضع حد للأزمات المستمرة في شح الوقود. ومن الضروري في هذا المجال الاسراع في اصدار قوانين للنفط والغاز ولشركة النفط الوطنية ولتوزيع الموارد المالية بعدالة ومحاربة تهريب النفط والمنتجات النفطية وتأمين جميع المستلزمات الضرورية لذلك ,والخلاص من نظام المحاصصة ,وهذا يتطلب وجود حكومة وطنية قوية ذات ارادة سياسية جادة ,حكومة ليست قائمة على المحاصصة وانما على اساس المواطنة والكفاءة والنزاهة والتكنوقراط تتبنى برنامجا اقتصاديا اجتماعيا لإدارة شؤون البلاد ومحاربة الفساد بكافة اشكاله . حكومة توعد وتنفذ.

أمريكا اللاتينية من اليمين إلى اليسار وبالعكس

عبد الحسين شعبان
بيروت

ما تزال التطورات الحاصلة في فنزويلا تلقي بظلالها على عموم المشهد السياسي في أمريكا اللاتينية، لاسيّما لجهة التدخل الأمريكي وتهديد واشنطن بعمل عسكري لدعم المعارضة بقيادة خوان كوايدو رئيس البرلمان الفنزويلي ضد حكومة اليسار البوليفاري بزعامة نيكولاس مادورو، ناهيك عن ردود الفعل الدولية، سواء من جانب روسيا أم الصين أم غيرها، الأمر الذي يثير مخاوف شديدة وقلقاً متصاعداً لما يمكن أن تؤول إليه الأوضاع في هذه الدولة الغنية بالنفط والمحاصرة منذ عهد الرئيس هوغو تشافيز، وخصوصاً منذ العام 2006 والذي شكّل هاجساً جديداً لواشنطن بعد كاسترو وكوبا.

وإذا بدأ المزاج السياسي منذ العقد الأول في الألفية الثالثة بالميل لصالح اليسار في العديد من دول أمريكا اللاتينية، فثمة ارتكاس حصل فيه، ويكفي أن نطلّع على ما أفرزته الانتخابات الرئاسية في سبع بلدان خلال العام 2018 ليتبيّن لنا التغييرات الحاصلة في العديد منها، حيث بدأ يتشكل " توازن" مؤقت بين اليسار واليمين وأصبحت الأنظمة القائمة تتأرجح بينهما.

ويعكس مثال البرازيل مثل هذا التوازن القلق، فبعد سنوات من التوجه اليساري، فاز اليمين فيه، في حين فاز اليسار في المكسيك بعد أن كانت بوصلة "مكسيكو" موجهة نحو الشمال، لكنها استدارت باتجاه أمريكا الوسطى، خصوصاً في ظلّ سياسة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب وتهديداته وابتزازه لبناء الجدار العازل وموقفه من اللاجئين والمهاجرين.

ويبقى الموقف من اليسار أو اليمين مرهوناً بتغيّر الظروف والأحوال، فهو ليس ثابتاً أو مستقراً على طول الخط، وإنما هو تعبير عن تنامي الوعي لدى الناخبين للتصدي لظواهر الفساد المالي والإداري والسياسي من أي أتت، وذلك بمعاقبة النخب السياسية الغارقة فيه، وعدم التصويت لها، بل اختيار خصومها ليكونوا بديلاً عنها.

وكانت البرازيل قد انتقلت من اليمين إلى اليسار لتعود مجدداً إلى حضن اليمين. والسبب هو "إنه الاقتصاد يا غبي" حسب العبارة التي استخدمها بيل كلينتون خلال حملته الانتخابية الناجحة ضد جورج بوش الأب العام 1992 فالأزمات الاقتصادية لم تكسب اليمين أو اليسار أي مناعة، ولم يستطع الاحتياطي العالمي من النفط الذي تطفو عليه فنزويلا من إخراجها من وضعها الاقتصادي البائس، والسبب يعود إلى الضغوط الخارجية والعقوبات الأمريكية المفروضة عليها بالدرجة الأساسية ، إضافة إلى السياسات الداخلية والفساد المالي والإداري وفشل خطط التنمية التي لم تستطع توظيف الفوائض النفطية واستثمارها في التعليم والصحة والخدمات الاجتماعية والضمان الاجتماعي والرخاء الاقتصادي وغير ذلك من "الوعود" التي ظل الفقراء يحلمون بها.

أما الارجنتين فقد سجلت انكماشاً كبيراً في النمو بسبب السياسات الداخلية الخاطئة التي ظلّت تراهن على الاقتراض من صندوق النقد الدولي، والأمر في بيرو لا يختلف كثيراً حيث أوقع الفساد البلاد في أزمة خطيرة.

وتعاظم ضعف الثقة في دول امريكا اللاتينية بين النخبة الحاكمة وشعوبها لدرجة أن بعض البلدان انقسمت بين التيارين اليميني واليساري، خصوصاً بارتفاع النبرة الشعبوية ذات الرنين العالي والمدعومة أحياناً من واشنطن. كما ارتفعت قوافل المهاجرين من شعوب هذه البلدان بقصد التوجه إلى الولايات المتحدة ، وهذا وحده دليل على تقهقر الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وتزايد البطالة وتراجع مستويات العيش الكريم، ناهيك عن عبور مئات الآلاف من السكان خط الفقر إلى ما دونه، بأجور لا تزيد عن دولارين في اليوم. وينتشر العنف وتضعف الدولة أمام غول الإرهاب وانعدام الأمن.

مواجهة مسلحة

كما تنتشر المواجهات المسلحة في هذه البلدان بين مجموعات من المهرّبين وتجار المخدرات في المكسيك وتتزايد التهديدات والابتزازات للسكان. وتشهد دول مثل الهندوراس والسلفادور وغواتيمالا التي تسمّى (دول المثلث الشمالي) نمو عصابات للجريمة المنظمة بشكل ملفت حيث ترتفع وتيرة العنف إزاء الشعوب الأصلية وسكان البادية والمدافعين عن البيئة والأرض والموارد الطبيعية.

والأمر يدلّ دلالة بالغة على فشل سياسات التنمية في تدبير وإدارة الأزمات الداخلية، إضافة إلى فشل سياساتها الخارجية، حيث تلعب واشنطن دوراً كبيراً في إذكاء الخلافات الداخلية والحساسيات المناطقية، فمثلاً تتنافس المكسيك والبرازيل حول "الزعامة الإقليمية"، ففي الوقت الذي تتجه فيه البرازيل نحو اليمين وتلتحق بواشنطن وتنضم إلى الأرجنتين والباراغواي والأرغواي لتدخل في قطيعة مع اليسار، تفتح المكسيك حواراً سياسياً مع دول اليسار في مسعى لحل الأزمات.

ولم يتأخر رئيس البرازيل الجديد ليثبت يمينيته وولاءه لواشنطن من إعلان عزمه على نقل السفارة البرازيلية إلى القدس بعد قرار ترامب بنقل السفارة الأمريكية إليها دون الاكتراث بعلاقات بلاده التاريخية بالعالمين العربي والإسلامي، على الرغم من عدم وجود ردود فعل عربية وإسلامية رسمية تتناسب وخطورة تلك الخطوة.

وهكذا فإن أمريكا اللاتينية التي كانت سبع دول منها خلال العقد الماضي تتجه صوب اليسار، وإذا ببعضها يتراجع بشدة نحو اليمين ، مثلما تستمر الضغوط على كوبا وتواصل واشنطن حصارها على الجزيرة منذ خمسة عقود ونيّف من الزمان.

□ باحث ومفكر عربي